

تحليل الخطاب من منظور نظرية الخطاب ما بعد البنيوية

المرتكزات وأدوات التحليل

Discourse analysis from the perspective of post-structuralist discourse theory

Foundations and analysis Tools

هوارى حمزة^{1*}¹ المركز الجامعي مرسلبي عبد الله ، (الجزائر) ، houari.hamza@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2024/01/30

تاريخ القبول: 2024/01/19

تاريخ الاستلام: 2023/06/02

ملخص:

يستكشف هذا المقال الإمكانيات النظرية لنظرية الخطاب، كإطار للتّظنير والتحليل في مجال البحث في العلوم الاجتماعية، حيث قدمت نظرية الخطاب جهازا مفاهيميا معقدا يشتمل على مفاهيم: التّفصل، الدال الفارغ، الدال العائم، منطق الاختلاف، منطق التكافؤ، العدائية، الخيال والمتعة، وغيرها من الأدوات التحليلية الناتجة عن تلاق مفاهيمي بين نظرية الخطاب ما بعد البنيوية، التي أرسى أسسها لاكلو و موف من جهة، ومن جهة أخرى يتموقع جاك دريدا في المدرسة التفكيكية، وأنطونيو غرامشي ولويس ألتوسير في التقاليد الماركسية وكذا جاك لاكان في التحليل النفسي.

بالاعتماد على أعمال أرنستو لاكلو و شنتال موف، تحاول هذه الورقة استعراض نظرية الخطاب ما بعد البنيوية ومرتكزاتها المعرفية، لنقدم بعدها مجموعة من المفاهيم التحليلية التي يمكن أن تستعمل "كعلبة أدوات" لدراسة الظواهر الاجتماعية خاصة تلك التي تندرج ضمن البحوث الاجتماعية في بعدها النقدي.

كلمات مفتاحية : نظرية الخطاب، إرنستو لاكلو، شنتال موف، الدال الفارغ، العدائية، منطق التكافؤ والاختلاف، الدال العائم، المتعة، الخيال، تحليل الخطاب،

Abstract

This article explores the theoretical potential of Discourse Theory in social science analysis. It encompasses complex concepts like "articulation," empty and floating signifiers, equivalence and difference logic, fantasy, enjoyment, and antagonism. It combines post-structuralist discourse theory by Ernesto Laclau and Chantal Mouffe with Derrida's deconstructive school, Marxist traditions, and Lacan's psychoanalysis .

Relying on the work of E. Laclau and C.Mouffe, this paper is an attempt to figure out the post-structuralist discourse theory and its epistemological foundations, to then present a set of analytical concepts that can be used as a "Toolbox" to study social phenomena in particular. which fall within the critical social research .

* المؤلف المرسل: هوارى حمزة

Keywords: Discourse Theory, Ernesto Laclau, Chantal Mouffe, Empty signifier, Logic of equivalence and difference, Floating signifier, Fantasy, enjoyment

. مقدمة:

مرت العلوم الاجتماعية في سبعينيات القرن الماضي بـ "منعطف لغوي"، واليوم مع ازدياد الدراسات التجريبية التي تعتمد على دراسات الخطاب في حقل العلوم الاجتماعية، يمكن القول أننا أمام منعطف "خطابي" (Torfinn & D. Howarth, 2005, p21)، وتعد نظرية الخطاب لإرنستو لاكلو وشنثال موف (مدرسة إيسكس) إحدى أبرز النظريات التي ساهمت في هذه "الانعطافة اللغوية" في حقل العلوم الاجتماعية لثورتها على الإرث الماركسي والبنوي وفتحها أفقا جديدا لفهم بناء الهويات ودور الخطاب في بناء العالم .

تتلخص أهداف هذه المقالة في استكشاف نجاعة الجهاز المفاهيمي لنظرية الخطاب في التحليل الاجتماعي، والبحث في إمكانية سحب هذا الجهاز من الدراسات السياسية نحو حقول معرفية أخرى، أولا من خلال التنقيب عن الأسس الفلسفية لنظرية الخطاب (الماركسية، البنوية، والتحليل النفسي)، ثم سرد مفهوم الخطاب، وأخيرا عرض علبة الأدوات التي يمكن الاستعانة بها في تحليل الظواهر الإنسانية والاجتماعية .

2. الافتراضات الأساسية لنظرية الخطاب

تنهل نظرية الخطاب ما بعد البنوية من مدارس فكرية شتى، ولها جذور في الفكر المعاصر، فهي تستمد دعائمها الفكرية من مراجعة التراث العلمي للتيارات الفكرية الرئيسة الثلاثة في القرن العشرين: التحليل النفسي، الظاهرية، والبنوية. لكن تبقى ما بعد البنوية هي الأرضية الصلبة التي وجد فيها لاكلو وموف المصدر الرئيسي للتفكير النظري، كما كان للتفكيك (ديريدا) وللتقاليد الماركسية لغرامشي ونظرية جاك لاكان النفسية أهمية حاسمة

في صياغة مفهوم الهيمنة والذي يعد مفهوما مركزيا في نظرية الخطاب ما بعد البنيوية لفهم النزاعات الاجتماعية .

تعد الوجودية المناهضة للماهوية ونظرية المعرفة المناهضة للتأسيسية أيضا العمود الفقري للتفكير ما بعد البنيوي (Alford et al, 2005, p155) فنظرية الخطاب تفترض أن جميع الأشياء والأفعال لها معنى، وأن معانيها تُمنح من خلال أنظمة قواعد محددة تاريخيًا وبشكل عرضي (Howarth & stavrakakis, 2000, p3)، يعطي هوارث المثال التالي : غابة تقع أمام مشروع طريق سيار، البعض يعتبر هذه الغابة عقبة أمام تنفيذ المشروع ويجب إزالتها، في حين يرى آخرون أنها ثروة طبيعية وبيئية يجب المحافظة عليها، فالأمر هنا، يعتمد على أنظمة الخطاب التي تشكل هويته، ففي خطاب التحديث الاقتصادي يجب التخلص من الغابة، لأنها عقبة أمام النمو الاقتصادي، بينما في الخطابات البيئية، هي ثروة بيئية يجب الحفاظ عليها، وكل من هذه الخطابات هي عبارة عن بناء اجتماعي وسياسي يؤسس نظامًا للعلاقات بين الأشياء والممارسات المختلفة (Howarth & stavrakakis, 2000, p3).

يتقاطع المنطق الوجودي المناهض للماهوية لنظرية الخطاب مع البنائية الاجتماعية التي تعتقد بدور اللغة في البناء الاجتماعي للعالم. وتشاركها الافتراضات الوجودية والمعرفية، فمن الناحية الوجودية ينكر محللو الخطاب وجود حقيقة موضوعية، ويفترضون وجود حقائق متعددة مبنية اجتماعيا، بدلا من حقيقة واحدة تحكمها طبيعة ثابتة (Hajer and Versteeg, 2005, p176) لكن هذا الاعتراض لا ينبغي فهمه على أنه إنكار للوجود المادي للأشياء، فالأشياء والأحداث موجودة بالفعل لكن ليس لها معنى في ذاتها ولا يمكن النفاذ إليها، إلا بواسطة أنظمة الدلالة التي تتخذ شكل الخطابات " (يورغنسن & فيلبس, 2019, ص76).

طورت نظرية الخطاب مرتكزاتها الفلسفية والمعرفية من خلال إعادة قراءة الإرث الماركسي المتأثر بغرامشي وألتوسير، فالعجز السياسي للماركسية كان سببا في إطلاق المشروع الكبير لموف ولاكلو " الديمقراطية الراديكالية "، من خلال كتابهما التأسيسي " الهيمنة والاستراتيجية الاشتراكية"، الذي يعتبر بمثابة جسر العبور نحو ما بعد الماركسية"، حيث قام فيه لاكلو بتفكيك الإرث الماركسي، أولا من خلال " إلغاء ثنائية القاعدة / البنية الفوقية، وتقديم التشكيلات المجتمعية على أنها نتاج لعمليات خطابية، ثانيا: رفض التصور الماركسي للمجتمع على أنه قابل للوصف الموضوعي، فالمجتمع، حسب لاكلو، غير قابل للتحقيق، وعبر عن ذلك بـ "المجتمع مستحيل"، بمعنى استحالة التثبيت النهائي في الاجتماعي، فالمجتمع يتمظهر فقط كجهد لبناء هذا الكائن المستحيل، ثالثا: ترفض نظرية الخطاب المنظور الماركسي للهوية على أساس أنها هوية طبقية، فبالنسبة لاكلو هوية الأفراد تتشكل نتيجة العمليات الخطابية العرضية (Contingency) (يورغنسن & فيلبس، 2019، 76)، فالخطابات في نظرية الخطاب ما بعد البنيوية تبني عرضيا وتاريخيا وتلعب فيها العلاقات دورا تأسيسيا .

هكذا تقلب نظرية الخطاب المرتكزات النظرية والمفاهيمية للماركسية كأولوية الاقتصاد على السياسة والصراع الطبقي والقاعدة والبنية الفوقية، وبالمقابل تطرح نظرية الخطاب جهازا مفاهيميا بديلاً مبنياً على أولوية المفاهيم السياسية مثل الهيمنة والعداء والانزياح من خلال إعادة صياغة أفكار "غرامشي" و"ألتوسير" للمفاهيم الماركسية للسياسة والأيدولوجيا والهيمنة، (Norval et al, 2000, p 5) .

تعد البنيوية اللغوية لفرديناند دي سوسير موردا أساسيا في بناء نظرية الخطاب، فهي تزودها بنقطة الانطلاق في فهم الدلالة، تشبه البنيوية اللغة بشبكة الصيد، حيث العلامات اللغوية هي العقد والحبال هي الوصلات بينها، وتكتسب العلامات اللغوية مدلولاتها من اختلاف بعضها عن بعضها الآخر (Jacobs, 2018)، وأيضا من تعريف كل عنصر في الخطاب

بشكل علائقي، لكن اعتراض بعد البنيويين يتمثل في عدم قدرة الدلالة على تثبيت المعنى بشكل نهائي (يورغنسن & فيلبس، 2019، ص 59) وبما أن سمة عدم الاستقرار هي الأساس في اللغة، فإن الدلالة لا يمكن أبداً تحديدها بصفة نهائية. فلا يوجد خطاب يمثل كيانا مغلقاً، فهو دائم التغير من خلال اتصاله بالخطابات الأخرى، لذلك فالكلمة المفتاح في نظرية الخطاب هي "الصراع الخطابي" (يورغنسن & فيلبس، ص 25).

يتجلى أيضاً تأثير مدرسة التحليل النفسي على نظرية الخطاب بشكل جلي في أدبيات هذه النظرية، فقد استعان لاكلو وموف بالعديد من مفاهيم التحليل النفسي لدعم ترسانتهما المفاهيمية، وتظهر أول الصلات النظرية مع جاك لاكان في كتابهما التأسيسي "الهيمنة والاستراتيجية الاشتراكية"، حيث لم يترددا في توظيف أفكار مدرسة التحليل النفسي، إذ نجد العديد من المفاهيم المشتركة بين لاكان ولاكلو مثل "النقاط العقدية" والبال الفارغ، الخارج التأسيسي، انشطار الذات، استحالة المجتمع، المتعة والخيال وهي كلها مفاهيم لديها مقابل في التقاليد البحثية عند لاكان.

3. مفهوم الخطاب لدى لاكلو وموف :

تؤكد نظرية الخطاب أن كل الظواهر الاجتماعية والطبيعية تكتسب معنى من خلال الخطاب، ويعرف "الخطاب" على أنه "مجموعة من الأفكار والمفاهيم والفئات التي يتم من خلالها إعطاء المعنى للظواهر الاجتماعية والفيزيائية. والتي يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها من خلال مجموعة محددة من الممارسات (Hajer & Versteeg, 2005)، هذه الممارسة التي تنتج المعنى يسميها "لاكلو: "التمفصل" Articulation، يشرح لاكلو هذه العملية كالتالي :

"نسمي "التمفصل" أي ممارسة تؤسس لعلاقة بين العناصر بحيث يتم تعديل هويتها من خلال الممارسة التمفصلية. سوف نسمي "الخطاب Discourse" تلك الكلية المهيكلية الناتجة عن الممارسة التمفصلية. المواقع المتمايزة، ومنذ أن تظهر داخل الخطاب، فإننا نسميها "

لحظات Moments"، وعلى العكس من ذلك، سوف نسمي "العنصر" أي اختلاف غير متمفصل خطابيا (Laclau & Mouffe, 2019, p186).

هكذا يتم تشكيل كل خطاب عن طريق "التمفصل" الذي يعرفه لاكلو بأنه أي ممارسة تنشئ علاقة بين العناصر بحيث يتم تعديل هويتها نتيجة لهذه العملية". ويعد التmfصل فئة مهمة في فهم عملية البناء الخطابي، كما يستخدمه لاكلو في تطوير نظريته السياسية للهيمنة، حيث يتم من خلاله، ربط المطالب الاجتماعية بالمشاريع السياسية التي يمكن أن تحدث التغيير الاجتماعي. فممارسة "التمفصل" تسمح ببناء النقاط العقدية التي تثبت معنى العناصر جزئياً ومؤقتاً (Glynos et al, 2009)، وتكتسب العناصر معناها ليس فقط من خلال علاقتها بالنقاط العقدية، بل أيضاً من اختلافها عن بعضها البعض ومن خلال استبعاد كل الدلالات المحتملة الأخرى (يورغنسن & فيلبس، 2019، ص 62).

تنفرد مقارنة لاكلو وموف بأنها لا تميز بين الأبعاد الخطابية وغير الخطابية لما هو اجتماعي، فكل الممارسات الاجتماعية ينظر إليها على أنها خطابية (Laclau & Mouffe, 2019, p188)، فالخطاب حسب لاكلو ليس فقط ما نقوله بل أيضاً ما نفعله وكل ما له علاقة بفلعنا وقولنا، وعليه فمفهوم الخطاب عند لاكلو وموف يتجاوز التعريف الضيق للخطاب على أنه "نص" بل يتوافق مع طرح جاك دريدا: "لا يوجد شيء خارج النص"، وهذه العبارة تحيل إلى أهمية: السياق الخطابي، أو شروط إنتاج الخطاب. هي تعبيرات مختلفة لأهمية السياق في تأويل الخطاب ومن ثمة فهمه. لكن علينا التنبيه بأن مقصد دريدا في مقولة "لا يوجد شيء خارج النص"، لا ينبغي أن يفهم بالتضاد، أي عزل النص عن سياقه لفهمه، بل لا توجد مرجعية ثابتة خارج النص يمكن أن نحيل لها المعنى للوصول إلى المعنى الذي يريده منتج الخطاب. وعليه، فنحن بصدد: لكل قارئ فهمه الخاص، إنها تعددية فهم النص.

فالخطاب في نظرية الخطاب ما بعد البنيوية، لا يختص فقط بالكتابة والكلام، لكن بكل العناصر التي "تلعب فيها العلاقات دورا تأسيسيا، بمعنى أن العناصر لا توجد مسبقا للمركب العلائقي، بل تتشكل من خلاله" (Laclau, 2008, p68)، ولا يجب أن يفهم من هذا أن لاكلو ينفي وجود الواقع، "فالكيانات الاجتماعية والمادية موجودة بالفعل، لكن النفاذ إليها يكون دائما بواسطة أنظمة الدلالة، التي تتخذ شكل الخطابات، فالأشياء المادية ليس لها معنى في ذاتها، "المعنى هو شيء نسندة إليها من خلال الخطابات" (يورغنسن & فيلبس، 2019، ص 79).

4. الجهاز المفاهيمي:

تهدف نظرية الخطاب إلى وصف وفهم وشرح البناء الخطابي وماهي شروط استقرار الخطاب والتغيرات التي تطرأ عليه. فمن أجل الكشف عن الشروط الضرورية لبناء الخطاب وإعادة تشكيله بطريقة معينة، تستخدم نظرية الخطاب مجموعة أدوات مفاهيمية "سياقية" تتضمن مفاهيم مهمة مثل الخلع والهيمنة والعداء الاجتماعي، النقاط العقدية، الدال العائم والدال الفارغ، المتعة والخيال، الانزياح (Torfinn & Howarth, 2005, p19) وغيرها من المفاهيم التي تشكل علبة أدوات بالمفهوم الفوكوي.

4.1 النقاط العقدية:

تعد النقط العقدية Nodal Point أحد نتائج التلاحق المفاهيمي بين لاكلو والمحلل النفسي جاك لاكان (يسمى جاك لاكان بـ Point de Capiton)، ويظهر هذا المفهوم في العمل التأسيسي "الهيمنة والاستراتيجية الاشتراكية" كفئة تحليلية مركزية في نظرية الخطاب:

" يقدم الخطاب نفسه كمحاولة للسيطرة على المجال الخطابية من أجل وقف تدفق الاختلافات ولبناء مركز، سنقوم بتسمية النقاط الخطابية المميزة لهذا التثبيت الجزئي بالنقاط العقدية " (Laclau & Mouffe, 2019, p142) .

تعمل الدوال العقدية على إعطاء المعنى استقرار "جزئيا" (بمعنى استحالة الوصول إلى "إغلاق نهائي")، وبدون هذا الاستقرار الجزئي سيتفكك الخطاب الاجتماعي والسياسي (Stravakis, 2007, p68) ، كما يمكن تعريف النقطة العقدية على أنها دال مركزي يحظى بامتياز أو نقطة مرجعية تربط سلاسل الدلالة معا، فهي قادرة على إسناد المعنى إلى دوال أخرى داخل الخطاب.

لا تمتلك النقطة العقدية فائضا في المعنى - بل على العكس تماما، فهي، على حد تعبير جيغك، "دال فارغ" أو "دلالة بدون مدلول" ، لكنها تكتسب معنى من خلال تحديد موقعها بالنسبة للعلامات الأخرى، وهي عملية تحدث من خلال عملية "التمفصل" (Rear & Jones, 2013). هكذا تعمل النقطة العقدية من خلال عملية إسناد المعنى لعلامات أخرى على الاستقرار الجزئي للخطاب وبالتالي "توحد مجالا معيناً وتشكل هويتها" (Zizek, 2009 , p189) .

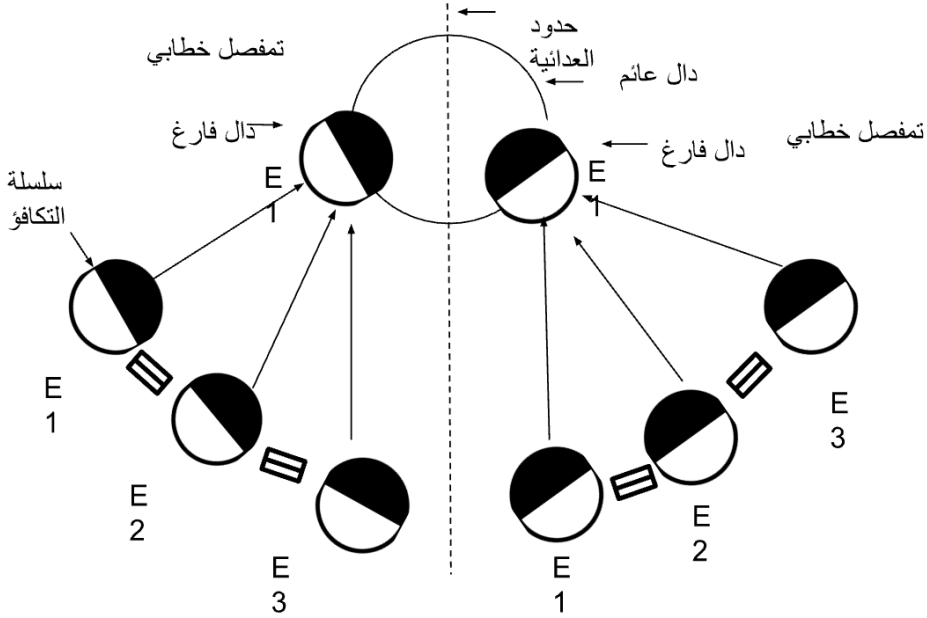
ولتفسير دور النقاط العقدية تفترض نظرية الخطاب أننا موجودون في مجال " العرضية أو الصدفة الجذرية"، بمعنى أن كل شيء عرضي، كل الخطابات كان يمكن أن تكون مختلفة، باعتبار أن كل هوية هي نتيجة علائقية، لأن كل عنصر هو ما لا يمثله الآخر (Laclau & Mouffe, 2019, p142) ، لكن في الأخير هذه العملية اللانهائية تتطلب تثبيتا معيناً حتى يتم إنتاج المعنى، لأنه في حالة عدم التثبيت الجزئي للمعنى ستصبح الدلالة مستحيلة، مثل "التفكير الذهاني" بتعبير لاكلو، هنا تظهر دور النقطة العقدية أو الدال الفارغ داخل المجال

الخطابي كعنصر خياطة أو تثبيت جزئي للمعنى بحيث يمكن لسلسلة الدال أن تكتسب بعض المعنى وبالتالي الاستقرار الجزئي (Biglieri & Perello, 2012) .

4.2 منطق التكافؤ ومنطق الاختلاف :

من أجل تفسير بناء العداوات الاجتماعية وكيفية تكوينها بشكل خطابي، يقدم لاكلو وموف مفهوم منطق التكافؤ Logic of Equivalence الذي من خلاله تهدد العلاقات العدائية الأنظمة الخطابية. (Howarth, & Stavrakakis, 2000 ,p1)، يكون منطق التكافؤ سلسلة من الهويات المتكافئة بين العناصر المختلفة التي يُنظر إليها على أنها تعبر عن تشابه معين. (Torfing, 1999, p301) يجمع منطق التكافؤ عددا من الهويات في خطاب واحد دون القضاء على اختلافاتهم الداخلية في مواجهة قطب آخر (Paul , 2009) فمثلا في الحراك الشعبي (2019) تشكلت سلسلة من التكافؤات مكونة من هويات اجتماعية وسياسية مختلفة كقطب واحد في مواجهة "النظام" مع احتفاظ كل هوية بخصوصياتها .

الشكل 1 : سلاسل التكافؤ والحدود العدائية حسب والتون وبون



المصدر : (Walton, S. and Boon, B. 2014)

من أجل توضيح عمل سلاسل التكافؤ وتشكل الحدود العدائية، اقترح "والتون.س" و"ب.بون" هذا المخطط المبين في الشكل 1 (نسخة مطورة عن مخطط لاكلو الذي اقترحه في كتابه العقل الشعبوي)، تعرف العناصر الممثلة بـ E بدلالات أو الموضوعات أو الممارسات التي تعمل كنقاط عقدية، تتشكل سلسلة التكافؤ كالتالي ($3E1 = E2 = E$) وسلسلة أخرى مفصولة عنها بحدود عدائية ($3'E'1 = E'2 = E$) كل هذه العناصر تحتفظ باختلافاتها وخصوصيتها (تتمثل خصوصية كل عنصر من الشق السفلي من الدائرة) في حين جميعهم متساوون مع بعضهم ضد القطب الثاني وراء الحدود العدائية (الشق العلوي من الدائرة)، هذا يدفع أحد العناصر للتدخل ويصبح دلالة على السلسلة بأكملها، دال يميل نحو طبيعة الدال الفارغ بتعبير لاكلو، فشرط ظهور الهوية هو وجود دال فارغ يعبر عن سلسلة تكافؤ وفي نفس الوقت يشكلها (Laclau, 2008, p153).

هكذا يقيم منطق التكافؤ العلاقات بين العناصر من خلال التأكيد على تشابهها أو ربطها معاً على أساس شيء مشترك. على هذا النحو، فهو منطق يميل نحو العالمية (Kolvræa, 2017, 102p)، كما يعمل منطق التكافؤ على إنشاء الحدود العدائية بين القطبين، وبدون هذه الحدود ستتهار سلسلة التكافؤ (Laclau, 2008, p155)، في حين يعمل منطق الاختلاف Logic of Difference على تأمين هوية عنصر معين (والذي يمكن أن يكون مطلباً، أو مجموعة، وما إلى ذلك) من خلال تمييزه عن العناصر الأخرى (Kolvræa, 2017, p102)، بتعبير آخر يعمل منطق الاختلاف على تفسير السلاسل الخطابية من خلال فصل الدلالات عن بعضها البعض، ليجعل من الاجتماعي أكثر تعقيداً، فيما يعمل منطق الاختلاف على ربط الدلالات ببعضها البعض في شكل سلاسل ويجعل من العالم أبسط من خلال اختزال حجم الفروقات بين العناصر في المجال الخطابي (jacobs, 2018).

4.3 الدال العائم :

تعرف الخطابات والهويات في نظرية الخطاب على أنها غير مستقرة وغير ثابتة، فهناك دائماً عناصر خارجية تهدد وجودها (من مجال الخطاب التي يحتوي على فائض المعنى) وتمنع التشبع الكامل للمعنى، هذا الصراع والاستقرار في المعنى، ينتج دوال عائمة والتي تعرف على أنها دوال "تفيض بالمعنى" لأنه يتم التمهصل عنها بشكل مختلف في خطاب مختلف (Torfing, 1999, p301).

بالنسبة للكلو، فإن الدال العائم Floating Signifier هو الدال الذي ينتج عن عدم الثبات الناتج بدوره عن تعدد الخطابات، وجراء هذه التعددية تقاطع الدالات بعضها البعض ولا تستطيع في النهاية الاتحاد معاً في سلسلة من التكافؤ، وبالتالي فهي تطفو (Mascha, 2010) بعبارة أخرى، تحمل الدوال العائمة معاني مختلفة في سياقات أو خطابات مختلفة. فالدال العائم يبحث عن مساحة جديدة للتمثيل، وفي آن واحد هو نتاج أمرين: أ- عدم ثبات

الحدود، ب- الإزاحة المستمرة لهذه الحدود (Mascha, 2010) بمعنى آخر عدم ثبات معنى هذه الدوال يجعلها محل نزاع خطابي بشكل أساسي بين نقاط عقدية.

إذن، فالدال العائم بإمكانه أن يكون أداة مهمة في تشريح الخطاب الإيديولوجي، فمن منظور سلافوي جيغيك، فالصراع الإيديولوجي يتمحور أساساً حول أي من "النقاط العقدية" ستجمع وتشمل في سلسلة معادلاتها، هذه العناصر العائمة الحرة التي تكون محل تنافس من قبل النقاط العقدية (Stavrakakis, 2020, p 193).

4.4 الدال الفارغ:

يُنظر مفهوم الدال الفارغ Empty Signifier على أنه فئة تحليلية مركزية لفهم نظرية الهيمنة من منظور الثنائي لاكلو وموف. انطلاقاً من الافتراض الوجودي لنظرية الخطاب الذي يعترف بالطبيعة الخطابية للمجتمع ودور منطق الإقصاء في تشكيل سلاسل التكافؤ، إضافة إلى الطبيعة غير المستقرة والعرضية للخطابات، ما يجعلها غير مكتملة في جوهرها، ولتحقيق التثبيت الجزئي والمؤقت للمعنى، يجب ترتيب العناصر وربطها مع بعضها البعض من خلال "الدوال الفارغة" (2021, Colleoni). ويعرف تورفينغ الدال الفارغ على أنه دال بدون مدلول، فالدال يُفرغ من أي محتوى محدد بسبب انزلاق الدال تحت المدلول، ويعطي مثال على الديمقراطية كدلالة فارغة، دلالة مفرطة في الترميز لدرجة أنها تعني كل شيء ولا شيء (Torfin, 1999, p301).

من وجهة نظر لاكلو فإن تشغيل منطق الحدود الاقصائية له سلسلة من التأثيرات تمتد على طرفي الحدود التي ستؤدي في الأخير إلى ظهور الدلالات الفارغة (Laclau, 2007, p37)، ولتكون هذه العملية (ظهور الدال الفارغ) ممكنة، يتم اختزال كل ما وراء حدود إلى سلبية خالصة (خارجي يهدد الداخل أو الخارج التأسيسي) وحتى يكون للعناصر المستبعدة دلالة، يجب عليها أن تلغي اختلافاتها من خلال تشكيل سلسلة من التكافؤات التي تجمع العناصر

مع بعض (لاحظ الشكل 1). كما أن وجود الآخر من وراء الحدود، الذي يهدد هذه العناصر يفرض على دال معين أن يمثل السلسلة (هذا الدال يميل نحو فراغ معين) ليصبح دالا موحد للسلسلة أو لمطالها (Kolvræ, 2017, p103) هذا الدال الذي تنهار من أجله وتتحول الاختلافات إلى سلسلة تكافؤ، يسميه لاكلو الدال الفارغ (Laclau, 2007, p38-39)، إذن فالدال الفارغ هو دال " كان سابقا جزء من النظام الدلالي ، وفقد طابعه الفردي واكتسب استقلاله عن معناه السابق من خلال ممارسات الهيمنة لكي يصبح تجسيدا للامتلاء (Joscha, 2015)، فالدال الفارغ هو دال أفرغ نفسه من الارتباطات بدلالات معينة، ليرتبط ويمثل سلسلة من العناصر (Laclau, 2007, p39) وهذا من أجل توفير مساحة فارغة يمكن ملؤها بالمعاني العالمية (Joscha, 2015).

4.5 العداء:

تفترض نظرية الهيمنة لأرنستو لاكلو وموف أن المجتمع لا يمكن أن يتشكل بدون عداء Antagonism، نظرا لأن جميع العناصر الخطابية من أجل أن تكتسب معنى، يجب أن يتم التعبير عنها على أنها مختلفة عن بعضها البعض، ومن ثم دمجها في علاقة اختلاف وصراع (Nonhoff, 2019, p71) (إغلاق المعنى يعتمد دائما على الإقصاء وإنتاج عنصر تأسيسي خارجي، أي يعتمد المعنى على إنشاء حدود ورسمها بين الداخل والخارج، بهذه الطريقة يبرز نقص أساسي في جميع الخطابات وهي قوة سلبية تعيق قدرتها على تثبيت المعنى بالكامل) (Farkas & Jannick, 2018) فالعداء الاجتماعي باختصار هو نتيجة استبعاد العناصر الخطابية من المجال الخطابي (Torfin, 1999, p305) .

كما اعتنت شنتال موف بشكل مركز بمفهوم العداء في إطار مشروعها حول النظرية الديمقراطية والديمقراطية الراديكالية من خلال مناقشتها لأفكار "كارل شميت" حول مفهومي " الصديق والعدو " ، ففي أغلب أعمالها تشدد هذه الباحثة البلجيكية على البعد

العدائي المتأصل في المجتمعات، وهذا البعد لا يمكن استئصاله أبدا (Mouffe, 2013, p5)، تنطلق موف من الافتراض الوجودي القائل بأن كل هوية هي علائقية، وشرط ووجود كل هوية هو الآخر الذي يلعب دور "الخارج التأسيسي"، الآخر هو الذي يرسم حدود هويتي، حيث يتم بناء "نحن" من خلال تحديد "هم" (Mouffe, 2005, p3-4)

نظرا لأن الهويات يتم التعبير عنها بشكل "عرضي" ونظرا لوجود العديد من الخطابات المتنافسة في المجال الخطابي، فإنه "لا توجد هوية اجتماعية محمية بالكامل من خطاب خارجي الذي يشوه ويمنعها من الانغلاق التام" (Laclau & Mouffe, 2019, p140)، هكذا تصبح المجال الخطابية مساحة تنازع وعداء تحاول الخطابات السيطرة عليها من خلال وقف تدفق الاختلافات، فالعداء مرتبط بوجود الآخر وهو تهديد لأي هوية: "وجود الآخر هو الذي يمنعني أن أكون أنا تماما. العلاقات لا تولد من الكليات الكاملة، ولكن من استحالة تكوينها (Laclau & Mouffe, 2019, p156).

4.6 الخيال والمتعة:

يعتبر كل من "الخيال Fantasy" و"المتعة Enjoyment" من المفاهيم الرئيسية الناتجة عن التلاقح المفاهيمي بين مدرسة تحليل الخطاب ومدرسة التحليل النفسي، إذ ترتبط المشاريع السياسية والأيديولوجية حسب غلينوس وستارفاكيس بالخيال، الذي يقدم وعودا للأفراد والجماعات باستعادة المتعة المفقودة أو المستحيلة، فالخيال هو "الذي يوفر الدعم الخيالي للعديد من مشاريعنا السياسية والأدوار الاجتماعية. هكذا يركز جزء كبير من الخطاب السياسي على تقديم "الحياة الجيدة" أو "المجتمع العادل"، وكلاهما تخیلات لحالة مستقبلية سيتم فيها التغلب على القيود الحالية التي تعوق تمتعنا (Glynos, Stavrakakis, 2008)، هذه القيود هي في الغالب "الآخر" الذي يمنعنا من استعادة المتعة (المسلم مثلا في الخطاب اليميني المتطرف)، فالخيال يعزز تضامن المجموعة الوطنية ويقوي الهوية الوطنية وينشط

"الرغبة الوطنية" من خلال سلسلة من الممارسات الاجتماعية - الاحتفالات . المهرجانات وطقوس الاستهلاك وغيرها من أشكال "التمتع" (Glynos & Stavrakakis, 2008) . على سبيل المثال : إشكالية كراهية الآخر، حسب جيغيك ليست مرتبطة بحقوق الإنسان أو أي سرديّة أخرى، بل بـ"الآخر" الذي يسرق متعتنا، جذور العنصرية والكراهية هي كراهية "متعة الآخر" و كراهية للطريقة الخاصة التي يتمتع بها الآخر، الآخر الذي سرق متعتنا والذي يمارس طريقة لتمتعه مختلفة عنا (Zizek, 1993, p203) فغالبا ما يعزى سبب عدم التمتع إلى شخص آخر سرق "متعتنا"، على سبيل المثال تستند المجموعات الثقافية إلى افتراض العصر الذهبي للأمة، خلال هذا العصر الذهبي المتخيل كانت الأمة مزدهرة إلا أنها تحطمت على يد الآخر" (Glynos & Stavrakakis, 2008) " نفس الأمر مع خطابات اليمين المتطرف في فرنسا حول المهاجرين المسلمين " والذي يمثل بالنسبة لهم "الآخر" الذي حرم الأمة الفرنسية من المتعة. فحسب جيغيك تقوم القوميات ببناء أساطيرها الخاصة من خلال سرد روايات كيف تحرّمها الأمم الأخرى (الآخر) من المتعة، الذي سيسمح لها امتلاكها بالعيش بشكل كامل (Zizek, 1993, p204) أي تحقيق الامتلاء المتخيل .

5. الخاتمة :

توفر نظرية الخطاب ما بعد البنيوية لمحلّي الخطاب جهازا مفاهيميا وأسس نظرية متنوعة، ليس فقط لدراسة الظواهر المرتبطة بالسياسي والسياسة (la politique et le politique) بمفهوم شنتال موف، بل يمكن أن تمتد لدراسة مختلف الظواهر المرتبط بالإنسان والمجتمع باعتبار أن المنطلق الوجودي للنظرية، يفترض أن كل شيء يكتسب معناه من خلال التفاعل الخطابي، وبالتالي فإن "علبة الأدوات" التي تقترحها النظرية - استعرضنا جزء منها في هذا المقال - بإمكانها أن تفتح للطالب أفقا بحثيا جديدا على غرار دراسات المرتبطة بتشكيل الهويات الجماعية وعمل الأيديولوجيات والصراع الاجتماعي .

لكن رغم هذا "الغنى" المفاهيمي والتحليلي-النظري، إلا أن البحوث التجريبية المرتبطة بنظرية الخطاب قليلة مقارنة بالإنتاج الفلسفي النظري، وهذا راجع لميل روادها على الاشتغال على المستوى الفلسفي التجريدي، وقلة الاهتمام بالنقاشات المنهجية واستراتيجيات البحث المرتبطة بالنظرية، التي يجتهد عليها حاليا الباحثون في مدرسة "إيسكس" ودائرة "بروكسل" وغيرهم من المشتغلين على نظرية الخطاب، إذن فالتحدي الأساسي هو إنزال نظرية الخطاب بما تحمله من جهاز مفاهيمي نحو بحوث تجريبية.

List of references :

- Alford, D. P. o. S. R. R., Hicks, A. M., Janoski, T., Schwartz, M. A., Alford, R. R., & University of Cambridge (Eds.). (2005). *The Handbook of Political Sociology: States Civil Societies, and Globalization*. Cambridge University Press
- Biglieri, a., & Perelló, G. (2012). The Names of the Real in Laclau's Theory: Antagonism, Dislocation, and Heterogeneity. *Filozofski vestnik, Vol. 32 No 2*, 47–64.
- Colleoni, E., Illia, L., & Zyglidopoulos, S. (2021, august). Exploring How Publics -Discursively Organize as Digital Collectives: The Use of Empty and Floating Signifiers as Organizing Devices in Social Media. *Journal of the Association for Consumer Research*, Vol 6 - N 4, 491–502.
- Glynos, j., Howarth, D., Norval, A. J., & Ewen, S. (2009). Discourse Analysis: varieties and methods. *NCRM*.
- Glynos, J., & Stavrakakis, Y. (2008). Lacan and Political Subjectivity: Fantasy and- Enjoyment in Psychoanalysis and Political Theory. *Subjectivity, 24*, 256–274
- Kolvraa, C. (2017). The discourse theory of Ernesto Laclau. In: Wodak, R & Forchtne, B (eds) *The Routledge Handbook of language and politics*

- Hajer, M., & Versteeg, W. (2005). A decade of discourse analysis of environmental politics: Achievements, challenges, perspectives. *Journal of Environmental Policy & Planning*, 7:3, 175-184.
- Hook, D. (2017, august). What Is "Enjoyment as a Political Factor"? Political Psychology. *International Society of Political Psychology*, 38 (Special issue : psychoanalysis and the political unconscious , 605-620.
- Howarth, D & Stavrakakis, Y. (2000). introducing Discourse Theory and Political Analysis. In : D, Howarth; Aletta J. Norval & Y, Stavrakakis. (eds) Discourse Theory And Political Analysis . Manchester University Press . (1-37 p.)
- Thomas Jacobs (2018) The Dislocated Universe of Laclau and Mouffe: An Introduction to Post-Structuralist Discourse Theory, *Critical Review*, 30:3-4, 294-315
- Johan Farkas & Jannick Schou (2018) Fake News as a Floating Signifier: Hegemony, Antagonism and the Politics of Falsehood, *Javnost - The Public*, 25:3, 298-314
- Joscha, W (2015) Global politics and empty signifiers: the political construction of high technology, *Critical Policy Studies*, 9:1, 78-96,
- Laclau, E. (2007). On Populist *Reason*, Verso Books.
- Laclau, E. (2008). *La raison populiste* (J.-P. Ricard, Trans.). Seuil.
- Laclau, E., & Mouffe, C. (2019). *Hégémonie et stratégie socialiste: Vers une radicalisation de la démocratie*. Fayard/Pluriel.
- Mascha, E. (2010, May). Contradiction and the Role of the 'Floating Signifier': Identity and the 'New Woman' in Italian Cartoons During Fascism (Report). *Journal of International Women's Studies*, Vol 11 Issue 4.
- Mouffe, C. (2005). The Return of the Political. Verso Books.
- Mouffe, C. (2013). Agonistics: Thinking The World Politically. Verso

- Nonhoff, M. (2019). Hegemony Analysis: Theory, Methodology and Research Practice. In: Marttila, T. (eds) Discourse, Culture and Organization. Postdisciplinary Studies in Discourse. Palgrave Macmillan, Cham.
- Norval, A. J., Stavrakakis, Y., Howarth, D. J., & Howarth, D. R. (Eds.). (2000). *Discourse Theory and Political Analysis: Identities, Hegemonies and Social Change*. Manchester University Press.
- Paul, K. T. (2009). Discourse analysis: an exploration of methodological issues and a call for methodological courage in the field of policy analysis,. *Critical Policy Studies*, 3:2, 240-253.
- Rear, D., & Jones, A. (2013). Operationalising Laclau and Mouffe's Discourse Theory as a Practical Method for Text Analysis. *Critical Policy Studies*, Vol 7 (4), 375 - 394.
- Stavrakakis, Y. (2007). *The Lacanian Left: Psychoanalysis, Theory, Politics*. Edinburgh University Press.
- Stavrakakis, Y. (Ed.). (2020). *Routledge Handbook of Psychoanalytic Political Theory*. Routledge.
- Torfing, J. (1999). *New Theories of Discourse: Laclau, Mouffe and Zizek*. Wiley.-
- Torfing, J., & Howarth, D. R. (Eds.). (2005). *Discourse Theory in European Politics: Identity, Policy and Governance*. Palgrave Macmillan.
- Walton, S. and Boon, B. (2014), "Engaging with a Laclau & Mouffe informed discourse analysis: a proposed framework", *Qualitative Research in Organizations and Management*, Vol. 9 No. 4, pp. 351-370.
- Zizek, S. (1993). *Tarrying with the Negative: Kant, Hegel, and the Critique of Ideology* (F. Jameson & S. Fish, Eds.). Duke University Press.

قائمة المراجع:

- يورغنسن، م، & فيلبس، ل. (2019). تحليل الخطاب: النظرية والمنهج (ترجمة، ش. بوعناني). هيئة البحرين للثقافة والآثار.